الشعر الإخواني في الحلة (٦٥٦هـ - ١٣٣٥هـ)

دراسة تحليلية في الموضوع الشعري

د. مثنى حسن الخفاجي

مركز العلامة الحلي ﷺ / شعبة البحوث والدراسات

شهدت مدينة الحلة نهضة أدبية هائلة بدأت منذ تأسيسها واستمرت جذوتها لعدة قرون، وكان الشعر العربي فيها ينعم بالغزارة والتنوع الإبداع ويشكل ظاهرة فنية وسمة طاغية على الحياة الثقافية بعمومها،وكان من النتائج الإيجابية لتلك النهضة الأدبية حركية الشعر العربي ونشاطه وتنوع موضوعاته وتراوحها بين القديم والمطور والمستحدث، ولعلَّ من أبرز تلك الفنون الشعرية شعر " الإخوانيات " الذي شكل فكرة أدبية واضحة وظاهرة فنية بارزة في الشعر العربي في العصور المتأخرة بنحو عام والشعر الحلي في المرحلة نفسها بنحو خاص.

يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على ما نظمه الشعراء الحليون في فن الإخوانيات في محاولة لتحديد بدايته الأولى والوقوف على كثرته ومدى إقبال الشعراء عليه،وبيان المواقف والمناسبات والأحداث التي اقتضت من الشعراء نظم الشعر فيه، فضلاً عن كشف السمات التي انماز بها عن طريق التحليل الموضوعي .

Al-Ikhwani (Brotherhood) Poetry in Hilla, An Analytical Study in Poetic Theme

Ph.D Muthanna Hassan Khafaji
Center of Al-A'lama Al-Hilli – Unit of Researches and Studies

Hilla city had witnessed an enormous rise of literature since its establishment and its flame had continued for many centuries. The Arabic poetry was enjoying exuberance, diversity and creativeness and represented an artistic phenomena and overwhelming attribute of the cultural life in general.

The positive result of the literary rise was the dynamic movement of Arabic poetry, its activeness and the diversity of its subjects to move from the old to the updated and to the modernized.

One of the most prominent poetic arts was (Al-Ikhwaniyat / Brotherhoods) poetry which represented a clear literary theme and prominent artistic phenomena in the late centuries in general and in the poetry of Hilla at the same period in special.

This research comes to shed a light on the composition of poetry of Hilla poets and their poetic lines in the art of (Al-Ikhwaniyat / Brotherhoods) poetry as a try to determine its early starts and magnitude, to what extend it was popular among the poets, the events and occasions which urged the poets to organize this type of poetry. Moreover

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أطهر الخلق محمَّد، وعلى آله الشهداء المعصومين ..

أمّا بعد ..

فقد انماز الشعر العربي بتعدد أغراضه وثرائها وتنوع موضوعاته وغزارتها طبقًا لتعدد الحقب التاريخية التي مر بها واختلافها ، وقد تشكل في أول أمره من أغراض شعرية تقليدية رئيسة كـ (المديح والرثاء والهجاء والوصف ..)، ثم ظهرت فيه إلى جانب تلك الأغراض أغراضٌ شعرية ثانوية، وربما انصهرت فيها وتداخلت معها في الوقت نفسه قبل أن تستقل عنها وتصبح قائمة بذاتها فيما بعد ؛ بفعل تطور الحياة الثقافية ، واستجابة لدواعي العصر ومتطلباته، ومن تلك الأغراض الشعرية « الإخوانيات» .

وقد شكَّل الشعرُ في مدينة الحلّة ظاهرةً فنيةً وسمةً طاغيةً على الحياة الثقافية بعمومها ، وكان من النتائج الإيجابية لتلك النهضة الأدبية تنوع موضوعات الشعر وتراوحها بين القديم والمطور والمستحدث ، ولعلَّ أبرز تلك الفنون الشعرية هي « الإخوانيات» الذي شكل فكرة أدبية واضحة وظاهرة فنية بارزة في الشعر العربي في العصور المتأخرة بنحو عام والشعر الحلِّيّ في المرحلة نفسها بنحو خاص .

ومن هنا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على ما نظمه الشعراء الحلّيّون من نصوص شعرية في هذا الفن الشعري في محاولة لتحديد بدايته الأولى

والوقــوف على كَثْرته ومدى إقبال الشعــراء عليه، وبيان المواقف والمناسبات والأحــداث التي اقتضت مــن الشعراء نظم الشعر فيــه، فضلاً عن كشف السمات الموضوعية التي انماز بها عن طريق التحليل الموضوعي .

وقــد اقتضت مادة البحث أن يقســم على محورين : اختص المحور الأول بالتعريــف بفــن الإخوانيات من حيث المفهوم والجــذور والموضوعات ، أما المحــور الثاني فقــد تناولَ الشعرَ الإخوانــيَّ في الحلة فــي مرحلة العصور المتأخــرة مــن حيث النشــأة والتقبل والسمــات والموضوعيــة والفنية، عن طريــق تحليل نصوص الأدبــاء الحِلِّيّين،و تعقبه خاتمة ضمــت أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

المحور الأول :

الإخوانيات (المفهوم ، الجذور ، الموضوعات) :

إذا بحثنا عن تعريف لهذا المصطلح في الدراسات الأدبية المعاصرة فسنجد أنَّ جميعها تؤكد أَنّ الإخوانيات ضربٌ من النظم يتناولُ العلاقاتِ الاجتماعيَّة سواءٌ أكانَ بين الشعراء أم بينَ آخرينَ من المُجتمع، وتدورُ موضوعاته وقضاياهُ في جوانب العتاب ، والاستدعاء ، والتهنئة، والاعتذار، والتشوُّق، والصداقة، والــودّ، وكلّ ما يتعلَّق بالعلاقات الاجتماعيَّة ومناسباتها المُختلفة، فضلًا عن المُراسلات الشعريَّة التي تجري بين الشعراء والأصدقاء والأهل والأقارب[1].

ولا تختلــف معاجــم المصطلحــات العربيــة المعاصــرة المختصــة بتعريف المصطلحات الأدبية في تأكيد تلك الدلالة المركزية لمصطلح الإخوانيات .

فقــد جاء في تعريفها أنها : ((مصطلح تداوله النقاد ودارسو الأدب لتعيين

لون من ألوان الكتابة الشعرية والنثرية التي تندرج في إطار المراسلات المتداولة بين الأصدقاء والخلان ، أو في نطاق استحضار طيب العيش معًا وتذكر أيام الود والهناء ، وتأكيد الوفاء لها ، والالتزام بعهودها ، وغير ذلك مِمَّا يطرحه المُتوادُّون في مكاتباتهم ويتوارد على قرائح الشعراء من ذكرى الأصدقاء ومجالس الأحباب))[٢] .

وورد في المعجم الأدبي أنَّها : ((فنٌ من الفنون الأدبية ، أداته رسائل يتبادلها الأدباء في مناسبة معينة ، أو لغير مناسبة ، ويتخذون منها وسيلة ، لإبداء البراعة في تنخل المفردات ، وتخير العبارات وإبداء ما لديهم من مهارة بيانية واطلاع على أسرار اللغة العربية وغريبها وعجائب تراكيبها ، ولا يتجاوز النصّ منها صفحات معدودة))[٣] .

ويعالج الشعر الإخواني جملة من الموضوعات أبرزها : « تقريض القصائد ، واستحسان المؤلفات ، والمطارحات الفكرية ، والمجادلات العقلية ، وإثارة بعض القضايا النحوية والفقهية ، وحلّ الألغاز ، والمسامرات ، والمناظرات ، والأَوصاف والعتاب ، والتهنئة على تسنم المناصب ، والإجازات الدينية ، واستعارة الكتب وإهدائها »[٤] . ((وقد تعالج الرسالة الواحدة أغراضًا عدة في آن واحد ، أو تقتصر على جانب معين فتلقي أضواء على كل وجوهه))[٥] .

أما من ناحية الشكل فـ ((ليس للإخوانيات أصول واضحة من حيث الشكل ، وقد يتجاوز فيها الشعر والنثر ، وتكثر الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية والتمثل بأقوال مشاهير القدامى))[٦] ، وقد ترد ((في قصائد مستقلة بذاتها وهذا نادر في الشعر عامة ، وقد يتضمنه مقطع من

قصيدة إلا أنــه غالب في الرسائل التي تستأثر بمعظم ما جاء منه في العربية والتي تتسم بخصائــص الأسلوب الرائج في كل عصــر وبتناول الموضوعات المطروحة في كل بيئة لغوية أو فكرية أو أدبية))[٧] .

وهــذا اللونُ من النظم ليس بجديدٍ على شعر هذه المرحلة، وإنَّما عُرِفَ في العصور السابقة له[٨].

المحور الثاني :

الإخوانيات في الشعر الحلي (النشأة ، التقبل ، السمات الموضوعية والفنية) :

أقبــلَ الشعــراء الحلِّيون في مرحلــة العصور المتأخرة على هــذا اللون من النظــم إقبالاً شديدًا ،وأكثروا من النظم والإنشــاد فيه ، ولقِيَ من نفوسِهم وأذواقهــم عنايةً وهوىً ورغبــةً، فتأنَّقوا في صياغتهِ وتبادلــوهُ فيما بينهم في شتَّــى الأحوال والمُناسبات الدينيَّة والاجتماعيَّة؛ ويرجع ذلك إلى أن الإخوانيات ليست ((مــن الأغراض الأساسية البارزة لعدم حاجتهــا إلى العُمق الفكري والإبــداع))[٩] الفنِّي كسائر فنون الشعر الأخرى، فضــلًا عمَّا يتميَّزُ به من السهولةِ والبساطة والوضوح والسطحيَّة والسُّرعة في النظم، الأمر الذي يجعل منــه سهلًا ومُتاحًا لجميع الشعراء وفي متناول أيديهم على مُختلف مستوياتهم الثقافيَّة وملكاتهم الشعريَّة ، وقدراتهم الفنِّية والإبداعيَّة .

وأوَّلُ مــا يُطالِعُنا من الإخوانيَّات في هذه المرحلة، المراسلات الشعريَّة التي تبادلهــا الشعراءُ والأهلُ والأقــاربُ فيما بينهم، وقــد تناولت هذه المراسلات موضوعــات مُختلفةً ومُتنوِّعــةً، من أبرزها المدح والاحتــرام والتقدير المتبادل

بين الشاعر المُرسِل والشاعر المُجيب، ذلك ما نجدُهُ عند المُحقِّق الحِلِّي (ت ٦٧٦هـ) عندما أرسلَ إلى تلميذِهِ محفوظ بن وشاح بعض الأبيات يمدحهُ فيها ويتشوَّقهُ إذ يقول :

يا أيُّها العضُدُ الذي أعتدُّهُ
ذُخرًا لدفعِ حوادثِ الأزمانِ
ماذا الجفا واللّهُ يعلمُ أنَّني
لا أستطيعُ مضاضةَ الهجرانِ
كيفَ الغناءُ إذا هجرتَ وغيَّرتْ
ظُلَمُ الشكوكِ محاسنَ البُرهانِ

إن هذه الأبيات تُبيِّنُ القيمة العالية التي يحتلها التلميذ في قلب أستاذه، فهو بالنسبة إليه العضد الذي يستعين به لدفع نوائب الدهر ومصائبه ، كذلك هو عونه الذي لا يستطيع أن يتحمل غيبته عنه وهجرانه ؛ لأنه الدليل الواضح والبرهان الناصع الذي يمحي غياهب الشك ويزيل غيوم الالتباس، وفي قبال هذا الاحترام والتعظيم ما كان من التلميذ إلا أن يردَّ بالمثل على أستاذه ، فقد بَيَّنَ مدى الاحترام الكبير والتقدير العظيم الذي يُكِنُّهُ التلميذُ لأُستاذهِ، فهو – كما يرى الشاعر– الملاذُ الآمنُ والحِصنُ المنيعُ الذي يأوي إليه عند الشدائد والمصائب، والمُنقِذُ الذي يُنقِذُهُ من طوارقِ الأزمان وحوادثِ الدهر، واليد البيضاء المُتنعمة عليه والمُتفضِّلة في العطاء الجزيل والبرِّ والإحسان، وهو المُقيلُ له عند العَثَرات والكَبَوات، والهادي له إلى طريق الصواب، ومنهج

العدل عندما يضِلُّ، إذ يقول[١٠]:

واللّهِ مـا أدري بـأيِّ لسـانِ
أُثنـي عليـكَ بـه مـدى الأزمـانِ
يـا مَـنْ ألـوذُ بظلِّـهِ فكأنَّمـا
آوي إلـى حصـنٍ ورُكـنِ أمـانِ
لـم أدعُـهُ فـي غمـرةٍ إلَّا سمـا
نحـوي فأنقـذَ مهجتـي ورعانـي
وإذا احتذيـتُ نوالـهُ رجعـتْ يـدي
مـلأى مـن البـرِّ الـذي أولانـي
مـا زالَ يكنِفُنـي ويسمـعُ دعوتـي
ويـعمُّنـي بـالبِـرِّ والإحـسـانِ
فـإذا عثـرتُ أقامنـي مـن عثْرَتـي
وإذا ضلَلْـتُ عـن الصـوابِ هدانـي

ومـن الموضوعات التـي تناولتها تلـكَ المُراسلاتُ الشعريَّـةُ العتابُ، وهي كثيـرةٌ جدًّا خصوصًا عندما يحصلُ الجفـاء والقطيعة والبعاد والصدود من الصديـق فيعمـدُ الشاعر عندها إلـى مُراسلة صديقه الجافـي وتوجيه اللوم والعتـاب عليـه على هذا الفعل الشنيـع بتقديره، من ذلك مـا دارَ بين السيِّد صادق الفحَّام والشيخ محمد رضا النحوي، إذ أرسلَ الأوَّلُ مقطوعةً من الشعر يُعاتبهُ فيها ويدعوهُ إلى الوصال والابتعاد عن الجفاء والقطيعة، ويرى الشاعر أنَّ من حقوق الصداقة وواجباتها وآدابها التواصلَ بين الأصدقاء، وردَّ الرسائل والجواب على الشخص المُرسِل، ثـَّم يسألُ الشاعرُ صديقه عن الأسباب التي

دعتهُ إلى الامتناع عن المُراسلة، وترك المكاتبة، وردّ الجواب؛ إذ يقول الشاعر في ذلك[١١]:

عتابٌ به سمــعُ الصفا الصلــدِ يُقرَعُ
وشكوى لهــا صُمُّ الصخــورِ تصدَّعُ
أفــي الحــقِّ لــو ترعــونَ للحــقِّ ذمَّةً
أبيــتُ ولــي حــقٌّ لديكُــم مُضيَّــعُ
أعــزَّ كتــابٌ أم تبــرَّمَ كاتــبٌ
وأعــوزَ قِرطــاسٌ أم اعتَــلَّ مهيــعُ؟

إنَّ استعمــال الشاعــر لمفردات مــن قبيل (الصفا)، (الصلــد)، (الصم)، (الصخور)، وهــي تفيض بالخشونة والعنف، وتضــج بالقسوة والغلظة وتدل على اللهجة الشديدة واللغة الحادة التي توخاها الشاعر في العتاب على صديقه وتعنيفــه نظرًا لجسامة الذنب، وعظــم الجرم الذي اقترفه صاحبه في حقِّه، عندما سمح لنفسه أن تهشم الصداقة الحميمة، وتتناسى العلاقة الوثيقة التي كانت بين الطرفين قبل الافتراق بسبب السفر وتزداد الهُوَّة بين الطرفين إلى حدٍّ يجنح الشاعر إلى تعنيف صاحبه الذي لم يكلف نفسه إرسال رسالة نصية تنهي كل هذا الجــدل، وتهدأ من روعه، وتخفف من احتقانه عليه، وكأنه لا يمتلــك أدوات كتابــة الرسالة من القرطاس، والكاتــب كناية عن حالة النسيان التامــة، وانقطاع حبائل التواصل، والمودة بــين الطرفين بسبب جفاء الطــرف الثاني ونكرانــه للصحبة المتينة والعشــرة الطويلة، ومن جانب آخر فــإن هذه اللهجة الحادة من جانــب الشاعر تدل على المكانة العظيمة والحب الكبيــر الــذي يكنه الشاعر لصاحبه، فلو لم يكــن كذلك لما عتب عليه

بهذه اللغة المازجة بين خليـط من المشاعر المتوزعة بين الأسف والألم والحرقة والعتب والشوق والحدة والتعنيف واللهفة إلى التواصل واللقاء .

فمـا كانَ من الشيخ محمد رضـا النحوي بعد هذا العتاب الشديد اللهجة إلَّا أنْ يتوخـى لغة تزخر بالإذعان والامتثـال، ويتوسل بلهجة مفعمة بالاعتذار والأسـف والتألـم والاعتراف بالخطأ على ما بدرَ منه مـن الجفاء والقطيعة، ويطلُبُ من صديقه أنْ يتفضَّلَ عليه بالصفح وقبول الاعتذار، ثمَّ يعترف الشاعر بحـقِّ صاحبهِ عليهِ في المُعاتبة واللوم؛ لأنَّ صاحبهُ لم تبدُر منه إساءةٌ أو خطأ، ولا يجـدُ الشاعر لنفسـهِ وما بدرَ منها من الصدود والجفـاء عُذرًا يتعذَّرُ به، ويعزوالشاعـر سببَ تركهِ للمُراسلة وردِّ الجواب إلى السهو والخطأ والنقص الذي هو خارجٌ عن إرادتهِ؛ إذ يقول في ذلك[١٢]:

أتانـي مـن المولـى كتـابٌ بطيِّـهِ
عتابٌ به سمـعُ الصفا الصلـد يُقرَعُ
فهـا أنـا ذو بـثٍّ يلـينُ لـه الحصى
وشكوى لهـا صُمُّ الصخـورِ تُصدَعُ
وكُنتُ أُمَنِّي النفسَ بالصفحِ والرِّضا
فلـم يبقَ فـي قـوسِ الأمانِـيِّ منزعُ
فَتـىً لـم يُضِـعْ حقًّـا فَحَـقٌّ مقالُهُ
(أبيـتُ ولـي حـقٌّ لديكُـمْ مُضيَّعُ)
ولا عُـذرَ لي إنْ قُلتُ قـد عزَّ كاتبٌ
(وأعـوز قرطـاسٌ أو اعتـلَّ مهيـعُ)
وما كانَ تركي الكُتبَ تركًا لودِّهِ
ولكنَّـهُ خـطٌّ بـه النقـصُ مُولَـعُ

كذلك تناولت هذه المُراسلاتُ الشعريَّةُ السُؤالَ عن الأحوال بين الشعراء خاصَّة عندما يمرُضُ أحدُ الطرفين، فيعمدُ الطرفُ الآخر إلى مُراسلتهِ والاستفسار عن حاله، من ذلك ما دار بين السيِّد حسين القزويني ،وأخيه السيد ميرزا جعفر القزويني[١٣] إذ بعثَ الأوَّلُ بعضَ الأبيات التي يسألُ فيها عن صحَّة أخيهِ عندما علِمَ بمرضهِ؛ وقد أظهرَ الشاعرُ تفجُّعه وألمهُ وتأثُّره الشديد على إثرِ سماعهِ بذلك، إذ إنَّ ذلك الخبر قد طيَّر النومَ من عينيهِ وأجَّجَ نيرانَ الحُزن في نفسهِ، وسلبَ لذَّةَ العيش وعذبَ المورد، يقول في ذلك:

بنفسي وقلَّ بها أفتديكَ
(ولو أنَّ مولًى بعبدٍ فُدي)
على مضضٍ قد طويتَ الضلوع
بليلة ذي العائرِ[١٤] الأرمدِ
وما بينَ جنبيَّ ذاتُ الوقود
يشبُّ سناها إلى الفرقدِ
فما عثرَ الغمضُ من ناظري
ولا لذَّ لي العذبُ من موردِ

فأجابهُ أخوهُ بأبياتٍ بيَّنَ فيها حالهُ،وهو يُكابدُ الآلامَ والأوجاعَ، ويُصارعُ الأسقامَ والشدائد التي سلبتهُ النومَ،وكادت تعصِفُ بحياته، مُتمنِّيًا لو أنَّ أخاهُ كانَ معه ليُواسيه على ذلك، إذ يقول[١٥]:

أبا المُرتضى قد غِبْتَ عنّي بساعةٍ
بها الموتُ أدنى من جبيني إلى نحري

فكـمْ ليلـةٍ قـد بتُّهـا مُتيقِّنًـا
بأنِّـي أُلاقـي فـي صبيحتهـا قبري
أُكابِـدُ من طـولِ الليالـي شدائدًا
كـأنَّ الليالي قـد خُلِقْنَ بـلا فجرِ
ومـا طالبتْ نفسي سـوى أنْ أراكُمُ
وليس سوى ذكراكُمُ مرَّ في فكري

وليس بخافيةٍ اللغة المتفجعة والمتفجرة باللوعة والألم والحزن التي صيغت بها الأبيات للدلالة على الحالة النفسية الصعبة، والمأساوية التي مرت بالشاعرين علـى حد سـواء؛ نتيجة لابتعادهمـا عن بعـض، فلم يجدا غيـر المراسلات الإخوانيـة سبيلاً للتخفيف من حدة الأسى واللوعـة والحرقة، والتخفيف من المعاناة، والخروج بالنفس من تلك الحالة القاسية، ومن هنا يمكن إن نقول أنَّ واحدًا من أهم المعالجات الروحية التي لجأ إليها شعراء الحلِّة في هذه المرحلة هـي الإخوانيـات؛ انطلاقًا من الفاعليـة الجسيمة والتأثيـر السحري والدور المركزي الذي يؤديه الشعر في معالجة النفوس وتهذيبها .

كما تناولت هذه المُراسلاتُ الشـوقَ والحنينَ بين الأصدقاء وخاصَّة عندما تكونُ المسافةُ بعيدةً بينهم؛ بسبب تغرُّب أحد الطرفين، فيعمدُ الشاعرُ عندئذٍ إلى إرسال أشواقِه وحنينِه إلى صديقِه شعرًا، من ذلك ما دار بين الشيخ مهذَّب الديـن الشيباني (حيًا ٧٠٢هـ)[١٦] وصفيّ الديـن الحلي (ت٧٥٠هـ)، إذ بعثَ الأوَّلُ بيتًـا من الشعر إلى صديقـهِ الذي كانَ مُتغرِّبًا عن الحِلَّة في ماردين[١٧]، وقد بيَّنَ فيهِ أشواقَهُ الحارَّةَ وحنينهُ واحترامه وتعظيمه له إذ يقول[١٨]:

عـبـد العـزيـزِ علـيَّ أنـتَ عزيـزُ
ولـمـجـدِكَ التعـظـيـمُ والتعزيـزُ

فبادلَهُ صفيُّ الدين الحلِّيّ بالمشاعرِ نفسها، والعواطف الصادقة، وعبَّر عن أشواقه وحنينه اتِّجاهه؛ إذ فقال:

مـنْ لـي بقُربِـكَ والمـزارُ عزيـزُ
طُوبَـى لِمَـنْ يَحظـى بـه ويفـوزُ
فلـو استطعتُ رفعـتُ حالي نحوَكُم
لكـنَّ رفـعَ الحـالِ ليسَ يجـوزُ (١٩)

وقد أفادَ صفي الدين الحِلِّيّ في البيت الثاني من الحقيقة النحوية القارة في منظومة القواعد النحوية في اللغة العربية بوجود نصب الحال ،وعدم جواز رفعه مطلقًا، ووظفها توظيفًا موفقًا؛ للدلالة على استحالة اللقاء بالأحباب، نظراً لبعد المسافة وطول الطريق الفاصل بينهما بالارتكاز على المحسنات البديعية المتمثلة بالجناس من خـلال لفظتي «الحال» فالأولى دلت على الحال البشري، والثانية دلَّت على المصطلح النحوي الذي عادة ما يكون منصوبًا .

وقـد تكونُ هذه المُراسلاتُ بهدف المُداعبة والمُفاكهة والتظرُّف والمُلاطفة بين الشعراء، من ذلك ما دار بين السيِّد جعفر الحِلِّي والسيِّد محمد القزويني، عندما أرسلَ الأوَّلُ بعض الأبيات على سبيل المُداعبة والمُلاطفة، يقول :

لـي زوجـةٌ كـانَ أخـو أُمِّهـا
يُحسِـنُ فـي حالـي وفـي حـالِهـا
يُهـدي لنـا العنبـرَ مـن رُزِّهِ
والجـوعُ لا يخطـرُ فـي بـالِهـا
والعـام نالـتْ زرعَـهُ جمـرةٌ
فاحتـرَقَ العنبـرُ مـن خـالِهـا

لَمَّـا رأتْ قوتِـيَ لَـمْ يكفِهـا

فـــرَّتْ لأهــليهـا بأطــفالِهـا

إن هـــذه الأبيـــات وإن كانت فـــي معــرض المفاكهة والمداعبـــة ألا أنها تكشـــف من جانب آخـــر، عن الحيـــاة المعيشية الصعبة، وانعـــدام الرفاهية الاقتصادية،وحالة الفقر والعوز التي كان يعاني منها الإنسان الحِلِّيّ في تلك المرحلـــة بمن فيهم المثقف؛ نظـــرًا للأوضاع السياسية المتدهـــورة التي قاستها الأمة،بفعـــل تلاحـــق الاحتلالات الأجنبيـــة على البلاد الإسلاميـــة، ولا سيمَّا العراق في مرحلة العصور المتأخرة من مغول وتركمان وصفويين وعثمانيين .

ويجيبه السيّد محمَّد القزويني مُداعبًا أيضًا [٢٠]:

اكتُـــبْ لهـــا تُقبِـلْ علــى سُرعـةٍ

واقْتَبِـلِ الـــعُمْـرَ بإقبـــالِهـــا

ماشيـــةٌ تُطـــرِبُ مِـــنْ مَشيهـــا

لـــكـــنْ عـــلـــى رنَّـــةِ خلـــخالِهـا

والكُـــلُّ منَّـــا لكـــي يحبـــو غنًـــى

فاستغـــنِ مـــن مالـــي ومن مالِهـا [٢٠]

وهـكذا نجد أنَّ هذه المُراســـلات الشعريَّةَ قد استمرَّتْ بين الشعراء طوال مرحلـــة البحث من دون انقطـــاع، ونجدُها مُنتشرةً بكثـــرةٍ عند الشعراء في مُختلفِ الفترات التي تتناولها الدراسة .

وممَّا يدخُلُ في شعر الإخوانيَّات العتابُ، وتختلفُ صيغتهُ ولهجتُهُ باختلاف المواقف والحوادث التي تحدثُ للشاعر مع الذين يُرسِلُ إليهم شعرًا في العتاب، وقد كانَ من أكثر الأمور التي دعت الشعراء الحِلِّيين إلى توجيه اللوم وبعث

العتاب إلى الأصدقاء والأحباب، هو ما لاقوهُ من جفاء وقطيعة وهجر وصدود وقطع للرسائل من أولئك الأصدقاء والأحباب، فنجد الشاعر محسن العذاري يُعاتــبُ صديقًا له؛ نظرًا لما لاقاهُ منــهُ من الصدود والهجر والجفاء، ويستعملُ أسلوبًا ولغةً فيها كثيرٌ من المدح والرِقَّة والاحترام والتقدير والعاطفة، ويعمدُ إلى سُؤال صاحبهِ عن السبب الذي دعاهُ إلى قطيعتهِ وجفائهِ، ثمَّ يتشوَّق إليه، ويتذكَّرُ الأيَّام الجميلة التي قضاها معه عندما كانَ يُواصلهُ؛ قائلًا [٢١]:

فيــا فــرعَ المفاخــرِ طِبْــتَ أصــلا
وكمْ لك فــي المكارمِ خيــرُ غَرْسِ
ألا سمعًــا أخــا العليــاءِ عتبًــا
فإنِّــي مــن جفائــكَ لــي بحبْــسِ
لمــاذا قــد جــفــوتَ وأنــتَ أدرى
بإخلاصــي إليــكَ فدتــكَ نفســي
وقــد أصبحتُ مــن شغفــي وشوقي
إليــكَ أعــضُّ أنمُلَتــي بضِرســي
وكــم أوليتنــي وصــلاً فكانــتْ
بــــه أيَّامُنــــا أيــــامَ عُــــرسِ

ويُعاتِبُ الشيخ محمد رضا النحوي صديقًا له؛ نتيجةً لما لاقاهُ منه من الجفاء والقطيعة ويعزو الشاعر سببَ ذلك الجفاء إلى الزمان وطبيعة الأيَّام التي تُغيِّرُ الناس من حــال إلى حال تُبَدِّل طبائعهم تُغَيِّرُ تصرُّفاتهم وأخلاقهم، وتصيبهم بالغــرور والتكبُّر الذي ينجُمُ عنه عادة قطع الرسائل مع الأصدقاء، وعدم ردِّ

الأجوبــة، والشاعــر في كلِّ ذلك لا يقسو على صديقــهِ، وإنَّما يستعملُ معه أسلوبًا مُهذَّبًا وخطابًا مُؤدَّبًا، إذ يقول:

عتبــتُ عليــكَ يــا أملــي وإنِّــي
عليــكَ بــمــا عــتبــتُ بــه جديــرُ
جفــوتَ وكُنــتَ لا تجفــو ولكــنْ
هــي الأيَّــام دورتهــا[٢٢] تــدورُ
وغيَّــركَ الــزمــانُ وجــلَّ مــن لا
تُغيِّــرُهُ الــحــوادثُ والــدهــورُ
وغرَّكَ ما ازدهــاكَ وكُنتَ نعم الــ
ــخليــلُ المُصطفــى لــولا الغرورُ

وبعــد ذلــك يُقرِّرُ الشاعــرُ أنْ لا يواجهَ الصدودَ والهجــر والقطيعة التي لاقاها مــن صاحبهِ بالمثل، وإنَّما سيصبرُ على جفائــه ويحفظُ عهد الصداقة بينهــم؛ ذلك لأنَّ الصبرَ فــي الشِدَّة من شيم الأحرار، وعــلــى الدهر أنْ يُغيِّرَ صاحبــهُ، ويجعله يرجع إلى رُشدِهِ، ويعدِلُ عن غيِّهِ، ويُعاودُ التواصل معه؛ لأنَّ كُلَّ شِدَّةٍ لا بُدَّ أنْ يعقُبَها فرجٌ؛ إذ يقول في ذلك[٢٣]:

سأصبِــرُ مــا أطــاقَ الصبــرَ قلبــي
فــإنَّ الحُــرَّ فــي البلــوى صبــورُ
فــلا تغتــرْ فليــسَ الدهــرُ يبقــى
علــى حــالٍ سيعــدِلُ أو يجــورُ

إن هــذه الأبيات الشعرية تحتوي على نقد ضمني لبعض الممارسات المتخلفة والسلوكيــات المريضة التي كان يعاني منها المجتمع العربي في تلك المرحلة،

ولا سيما التصرفات المتعلقة بتبدل أخلاق البشر وطبائعهم بفعل تأثيرات الحياة وأعبائها ، والاغترار بالدنيا والتكبر على الآخرين، وانقطاع سبيل المعروف بين الناس، وكأن الشعراء الحلِّيّين لم يتركوا مناسبة سانحة لنقد المجتمع، وتسليط الضوء على أمراضه وأدوائه إلا وستثمروها بهدف المعالجة والتصحيح .

ومن الشعراء من استعمل لهجةً شديدةً ولُغةً خشنةً وأسلوبًا يتميَّزُ بكثيرٍ من التأنيب والشراسة في العتاب، فهذا صفيُّ الدين الحلِّيّ يُعاتِبُ أحدَ أصدقائه؛ نتيجةً لجفائه وقطع الرسائل عنه، ويستعمل أسلوبًا ولُغةً شديدةَ اللهجة، إذ يسألُ صاحبهُ عن السبب الذي دعاهُ إلى قطع الرسائل، وردّ الجواب عليه، مُقرِّرًا أنَّ صاحبه إذا كانَ مُتعمِدًا في ذلك فإنَّ جزاءهُ عنده هو الإهانة والسبُّ والشتيمة؛ فيقول [٢٤] :

يا سميَّ الصديقِ ما كُنتُ في صدْ
دِك إلَّا مُصدِّقًا قولَ ضِدِّي
لا كتابٌ به ابتدأتَ، ولا ردْ
دُ جوابٍ، ولو بحبَّةِ وردِ
فلئن كانَ منكَ ذلك بالقصـ
ـدِ ولم تَخشَ من صواعقِ رعدي
لا أُجازيكَ بالإهانةِ والسـ
ـب، ولكن جزاكَ يا نحسُ عندي

إنَّ هذا العتاب في الشعر غالبًا ما يستدعي من المُرسَل إليه أنْ يُوجِّهَ اعتذارَهُ لما بدرَ منهُ من الخطأ والقطيعة، ويعمدَ في هذا الاعتذار إلى الإتيان بالمُسوِّغات التي دعتهُ إلى القيام بالأفعال التي صدرتْ عنهُ بحقِّ الصديق أو

القريب، وقد تفاوتَ الشعراءُ في شعرهم الذي اعتذروا به وبيَّنوا سببَ فعالهم، فمِنهم من اعترفَ بذنبهِ وخطأه، وجاء بالحُجَّة المنطقيَّة التي دعتهُ إلى القيام بفعلتهِ ، ومنهم من ردَّ عن نفسهِ الشبهة والقصور، ولم يعترف بخطئه أو يقرَّ بتقصيرهِ، فنجد أنَّ صفيَّ الدين الحلّي لا يعترف بخطئه في عدم توديع صاحبهِ قبل رحيلهِ؛ لأَنَّهُ واثقٌ بالاجتماع به عن قريب، ثمَّ إنَّهُ لم يبعث كُتبًا أو رسالةً إلى صاحبهِ في الغُربة، لأَنَّهُ معتمدٌ في ذلك على النوايا الصادقة وصفاء القلوب بينهم، وهذه حُججٌ غيرُ منطقيَّة ولا مُقنعةٍ، إذ يقول في ذلك[٢٥]:

لـــم أُبـادِرْكَ بالـــوداعِ لأنّـــي
واثـــقٌ باجـتماعنـا عـن قـريـبِ
ولهـذا تأخَّـرتْ عنـكَ كُتبـي
لاعتمـادي علـى صفـاءِ القلـوبِ

ويعتـذر الشيخ عبـاس العذاري عن عدم نظمهِ الشعرَ في تهنئة الوجيه عبـد الوهاب النائب في أحد الأعياد ويعزو سببَ ذلك إلى الهموم التي دهتْ فكرته، فجعلت قريحته تتجمَّد وتنضبُ من الشعر[٢٦] :

عُـذرًا إليـكَ أخـا العليـاءِ والشرفِ
في مدحِ ذاتك يا ذا النائل الوكفِ[٢٧]
إذ قـد تأخَّـرَ نظمـي فيـك تهنئـةً
فـي العيد أنِّـي بحُبِّي غيـرُ منحرفِ
لكنْ دهى فكرتي ما فيهِ قد جَمُدَتْ
مـن القريحـةِ مـن همٍّ ومـن كلفِ

وعُـذر الشاعر في الأبيات المُتقدِّمة لا يبـدو منطقيًّا أو واقعيًّا هو الآخر، ومـن الشعراء من اعترفَ بخطئـهِ وأقَرَّ بذنبهِ وطلبَ العفـوَ والمغفرةَ والصفحَ مـن الصديـق، نتيجةً لما بدر منه الخطـأ، فهذا السيّد حيـدر الحِلِّيّ يعترف بذنبهِ ويطلب المغفرة من صديقهِ الحاج محمد حسن كبّة، ويعزو سببَ خطئهِ وجنايتهِ إلى صروفِ الدهر إذ يقول[٢٨]:

ليـتَ شعـري بمـا اعتـذار مُحـبٍّ
قـد بـدا منـهُ مـا يسـوءُ الحبيبـا
أنـا مُستغفـرٌ وقـد أذنـبَ الدَّهْـ
ـرُ نـأى مُعرِضًـا وجئـتُ مُنيبـا
فتجـاوَزْ بفضـلِ صفحِـكَ عمَّـنْ
لسـوى الصفـحِ لـم يجـئْ مُستنيبا
ثـمَّ هَبْ لـي جنايـةَ الدهر، يـا مَنْ
لـم يلِـدْ مثلَـكَ الزمـانُ وَهُوبـا

وممَّـا يدخُلُ في شعـر الإخوانيَّات باب الاستدعاء، وفيـه يُرسِلُ الشعراءُ بقصائدهـم ومقطوعاتهـم إلى بعض الأهـل والأقارب والأصحـاب، يطلبونَ حضورهم لفرطِ شوقهم وشِدَّة حنينهـم، خاصَّة عندما يكونُ أحدُ الطرفين مُتغرِّبًا عن وطنهِ وأهله، الأمر الذي جعل من تلكَ الأشعار تتَّسِمُ بصدق العاطفة والمشاعـر النبيلة والرِقَّة والعُذريَّة والابتعاد عن التكلُّف والتصنُّع والتأدُّب في الخطاب والتهذُّب في الأسلوب والاحترام والتقدير. فمن الأشعار التي تتجلَّى فيها العاطفـة الصادقة والودُّ والمشاعر النبيلة اتِّجاه الأصدقاء، ما بعثه السيِّد حيدر

الحِلِّـي إلى السيِّد ميرزا جعفر القزويني، وقد عبَّر فيها عن اشتياقِه له ورغبتِه في رُؤيتِه، واصفًا المكانةَ العظيمةَ التي يحتلُّها الأخير في قلبِه؛ إذ يقول[٢٩]:

رفَّ قلـبُ المشـوقِ لا للمـلاحِ
بـل لِشَوقـي إليكُـمُ وارتياحـي
لـو ملكـتُ الهـوى لطِـرْتُ إليكُم
يـا جناحـي وأيـنَ منِّـي جناحـي
فـي نواحـي الفُـؤادِ أنتُـم وقلبـي
معكُـم ساكِـنٌ بتلـك النواحـي
مَـنْ لِعينـي بطلعـةٍ هـي مِنْكُـم
طلعـةُ البِشْـرِ طلعـةُ الأفـراح

وكثيـرًا ما استغلَّ الشعراءُ الحِلّيون هذه المُراسلات، واتَّخذوا منها فُرصةً للمدح والثناء وذريعـةً للإطراء، فهذا السيِّد جعفر الحِلّي يبعثُ بعض الأبيات إلى صديقِه السيِّد مهدي ابن السيِّد محمد بحر العلوم من النجف عندما كانَ الأخيرُ مُسافرًا إلى بغداد، يمدحُهُ ويُثني عليه؛ إذ يقول[٣٠]:

خلقُـكَ أشـذى مـن شـذا النِّـدِ
ولـي غِنًـى فيـهِ عـن الـوردِ
ولسـتُ أستعـذِبُ شهـدًا ففـي
لفظِـكَ مـا يُغنـي عـن الشهـدِ
طُوبـى لبغـدادَ فقـد أدرَكَـتْ
فيـكَ مُناهـا يـا أَخَـا الـودِّ

وافَيْتَهـا والسُّحـبُ فـي ليلـةٍ
قـد لاحَ فيهـا طالـعُ السَّعـدِ
لكنَّمـا السُّحـبُ لهـا رِعـدةٌ
وجدتُهـا أنـتَ بـلا رعـدِ
ليـتَ الـذي باعـدَ مـا بَيْنَنـا
لا زالَ عـن أهليـهِ فـي بُعْـدِ
إنِّـي علـى العهـد الـذي بيننـا
فَـارْعَ – فَدَتْـكَ النفسُ– لـي عَهْدي

ونجـدُ كذلك بعضَ الشعراء قد بالغوا في وصف أشواقهم وحنينهم اتِّجاه أصحابهـم وأصدقائهم، فجاءَ شعرُهم مُتَّسِمًا بكثيرٍ من الصنعةِ والتكلُّف، مِن ذلك قـولُ السيِّد ميرزا جعفر القزويني عندمـا بعث ببيتين من الشعر إلى قائمقام الحلَّة حُسام أفندي عام ١٢٩١هـ، وقد بيَّنَ فيهما ما حلَّ به من الهموم علـى إثرِ غيابهِ وبِعادِهِ عنـه، إذْ أصبحَ ساهرًا لليلِ ومشغـول الفُؤاد، وحزين القلـب كحُزن النبيِّ يعقوب عليه السلام عن النبيِّ يوسف عليه السلام، مُتمنِّيًا رجوعه وعودته له بـإذن اللّه، وهي صورةٌ لا تخلو من المُبالغة والتصنـع والتكلّف؛ فهو يقول في ذلك[٣١]:

الطـرفُ بعـدَكَ لا ينفـكُّ فـي سهرٍ
والقلـبُ بعـدَكَ لا ينفـكُّ فـي شُغُلِ
يعقـوبُ حُزنُـكَ أبـلاهُ الضَّنا فعسى
مَـنْ ردَّ يوسُـفَ لُطفًـا أنْ يـردَّكَ لي

فمبالغة الشاعر واضحة في إظهار مدى شوقه لهذا المسؤول وتلهفه إلى رؤيته؛ وذلك من خلال توظيف القصة القرآنية ممثلة بقصة نبي الله يوسف عليه السلام.

واحتلَّتِ التهنئةُ جانبًا كبيرًا من الشعر الإخواني عند الحِلّيين في هذه المرحلة، خصوصًا في القرون الثلاثة الأخيرة منها، فلا نجدُ مُناسبةً مُعيَّنةً تمُرُّ بالشعراء إلَّا ووجدنا شعرًا قيلَ فيها، فقد اغتنمَ الشعراء مثلَ هذه المُناسبات وجعلوها فُرَصًا للتقرُّب إلى الأصدقاء وأرباب مجتمعهم من ذوي الزعامة والوجاهة، ويبدو أنَّ التهنئةَ شعرًا قد لاقتْ قبولًا كبيرًا لدى الحِلّيين؛ لأنَّ ذيوعَ صيتهم في المجتمع أطيبُ وقعًا عليهم من إرسالِ هديَّةٍ ماديَّةٍ لا تُحقِّقُ الشهرةَ والصِّيت، أمَّا مُناسبات التهنئة، فإنَّها تنوَّعتْ بين مُناسبةٍ دينيَّةٍ كالحجِّ والعيد، ومُناسبةٍ اجتماعيَّةٍ كالزواج وعقد القِران، والشفاء من الأمراض وبناء الدور والرزق بمولود، وغيرها.

فمِن المُناسبات الدينيَّة التي تبادلَ فيها الشعراء التهنئةَ فريضةُ الحج، فهذا الشاعر صادق الفحَّام يمدحُ أستاذه الشيخ جعفر الجناجي، ويُهنِّئُهُ بقدومه من الحج واصفًا إيَّاه بالكرم والسيادة والنسب الشريف، ويرى أنَّ العراقَ قد زانَ بقُدومهِ من الحجِّ، مثلما زانت بحجَّته الحجاز؛ إذ يقول[٣٢]:

يا أيُّها المولى الذي شادَ العلى
وبنى المكارمَ ناشئًا ووليدا
أصبحتَ سيِّدَها وليسَ بضائر
إنْ لم تكُنْ من هاشمٍ مولودا
زانتْ بمقدمِكَ العراقُ كما زهتْ
فيكَ الحجازُ تهائمًا ونجودا

وغالبًا ما بالغَ الشعراءُ في خلع الصفات، وإغداق النعوت عند تهنئتهم القادمين من الحج، فهذا الشاعر عبَّاس العذاري يخلعُ كلَّ الصفات النبيلة من كرمٍ وفضلٍ ورفعة على السيِّد محمد القزويني، ويرى أنَّهُ خيرُ من طافَ بالبيت الحرام وسعى، وأنَّ الناسَ عرفت مناسك الحج من نُسكه وورعه، وعرفوا الهدي منه؛ إذ يقول[٣٣]:

وافى كبدرٍ قد جلا بضيائهِ
غسقَ الدُّجى قد لاحَ في ظلمائهِ
وأتى الصباحُ كأنَّهُ في نورهِ
وجهُ ابنِ مهديِّ الورى وضيائهِ
السيِّد المولى محمَّدُ الذي
وطأ السُّهى وسما على جوزائهِ
قسمًا بطلعتهِ وجودِ بنانهِ
وكريمِ عشرتهِ وفضلِ إخائهِ
في حجِّهِ هو خيرُ من قد طافَ في الـ
ـبيتِ الحرامِ ومن سعى بفنائهِ
فبنُسكهِ عرفوا مناسكَ حجِّهم
والهدي قد عرفوهُ في إهدائهِ

ونجد أكثرَ من هذه المُبالغات في قصيدة الشيخ محمد رضا النحوي التي هنَّأَ بها الشيخ جعفر الجناجي عند قُدومهِ من الحج، إذ يرى أنَّ الحجَّ بكُلِّ مناسكهِ وشعائرهِ وطقوسه قد تجلَّى وتجسَّد في شخص ممدوحه،

وأنَّ قواعـدَ الحجر الأسود قد رُفِعَت له فـي حجَّتهِ، وقامَ مقامَ النبيِّ إبراهيم عليه السلام احترامًا وتقديرًا وتعظيمًا له بقدومه، إذ يقول في ذلك[٣٤]:

قـدِمَ الحجيـجُ فمرحبًـا بقدومـهِ
لقُـدومِ مـن شـرع الهُـدى بعُلومـهِ
هـو جعفرٌ من كـانَ أحيـا مذ نشا
مـن ديـن جعفـر عافيـاتِ رُسومـهِ
وسعى لحـجِّ البيـت وهو الحـجُّ في
تـحليلـهِ الـمعهـود أو تـحريمـه
وبمروتيـهِ ورُكنـهِ ومقامـه
وبـحِجـرِهِ وحُـجونـهِ وحطيمـهِ[٣٥]
رُفِعَـتْ قواعـدُ حجـرِ إسماعيلـهِ
فـيـهِ وقـامَ مـقـامُ إبراهيمـهِ
وبـه الصفا لقـي الصفـا فتأرجحتْ
أرجـاءُ مكَّـةَ مـن أريـجِ نسيمـهِ
وغـدتْ ينابـعُ زمـزمٍ وكأنَّمـا
مُزِجَـتْ لطيـبِ الطعمِ مـن تسنيمهِ
أهـدي السلامَ إلـى النبـيِّ وما درى
أنَّ النبـيَّ بـداهُ فـي تسليمـهِ

ومن المُناسبات الدينيَّة التي عادةً ما يتبادلُ بها المُسلمون التهاني العيدُ، وفيه يسعى الشعـراءُ إلى إرسال التهاني والتبريك إلى أصدقائهم، وأرباب مُجتمعهم مـن ذوي الزعامة والوجاهة والشرف في المُجتمـع، ومن هذه التهاني ما أرسله

الشيخ محمد رضا النحوي إلى السيِّد بحر العلوم مُهنِّيًا له بمُناسبة عيد الفطر، ويــرى الشاعر أنَّ العيدَ قد أصبحَ بالسيِّد بحر العلوم عيدين، ثمَّ يعمدُ بعد ذلك إلى تفضيل ممدوحه على العيد، ويأتي بمُسوِّغاتٍ على ذلك، منها أنَّ العيدَ يأتي علــى الناس مرَّةً واحدةً في السنــة، ويستمرُّ ثلاثة أيَّام بينما ممدوحه عيدٌ دائمٌ للناس في كلِّ آنٍ وزمان، ثمَّ يُقرِّرُ الشاعرُ أنَّ العيدَ قد يحملُ معه البلاء والسوء للناس في بعض الأحيان، أمَّا ممدوحه، فهو دائمًا ما يعود على الناس بالإحسان والفضل، وأنَّ العيد دائمًا ما يُثنيهِ في الفضيلة عيدٌ جديدٌ، أمَّا ممدوحه فليسَ له في الفضلِ من مُنافسٍ أو شبيه أو قرين؛ لذلك يُقرِّرُ الشاعر عدمَ إجراء مُقارنةٍ وتشبيه بين ممدوحه والعيد؛ لأنَّ العيدَ ليس له قدرٌ وشأنٌ كممدوحهِ، وهذه أمورٌ لا تخلو من المُجاملة والمُبالغة؛ فيقول في هذه المعاني[٣٦]:

مــولاي فيــكَ لنــا ذا اليــوم عيــدانِ
ثــانيهُــمــا أوَّلٌ والأوَّلُ الــثــانــي
الــعيــدُ يــومٌ وثــانــيــهِ وثــالثُــهُ
وأنــتَ فــي كــلِّ آنٍ عيدُنــا الآنــي
العيــدُ ذا فضلــهُ المعهــودُ فيــه بــلا
زيــــادةٍ يتــــعدَّاهــا ونــــقصــانِ
العيدُ كــم عادَ فــي الدنيــا بسيِّئهِ
ولــم تــزلْ عائــدًا فيهــا بإحســانِ
العيــدُ يُثنيــهِ عيــدٌ فــي فضيلتــهِ
وأنــتَ فــي الفضلِ فــردٌ ما لــهُ ثانِ
فكيــفَ نُقرِنُــهُ بالفضلِ منــكَ وما
لــه الــذي لك مــن قــدرٍ ومــن شانِ

ومثـل هذه المعاني والأوصاف المُبالغ فيها نجدُها في قصيدة الشيخ يعقوب الحاج جعفر التي هنَّأ بها حبيب بك آل عبد الجليل في العيد؛ فيقول[٣٧]:

هُنِّيـتَ يـا عيـدَ الـورى بالعيـدِ
مُـذ شَـعَّ فيـكَ هلالُـهُ بسعـودِ
فـي العيـدِ يُمْـنٌ للبريَّـةِ شامـلٌ
لكـنْ بـيـومٍ واحـدٍ معهـودِ
ولأنـتَ عيـدٌ كـلَّ يـومٍ للـورى
تبـدو بيُمـنٍ ليـس بالمعهـودِ
مـا أنـتَ إلا فـردُ أهـلِ زمانـهِ
والفضـلُ لا يحويـهِ غيـرُ فريـدِ

لقد حفلت هذه التهاني بكثيرٍ من المدح والثناء والمُبالغة، والإطراء وكأنَّ الشعراء أرادوا استغلال هـذه المُناسبة وانتهازها؛ لغرض التقرُّب والتزلُّف إلى أربـاب مُجتمعهم من ذوي الزعامـة والغِنى والوجاهة، فهـذا الشاعر عبَّاس العذاري يستغلُّ مناسبةَ عيد الفطر ليمدح من خلالها السيِّد مصطفى الواعظ، وقد خلـعَ عليه صفات الفضل والكرم والعلم والمجـد والعزم والهِمَّة والفخر والنسب الشريف ، قائلًا في هذه المعاني[٣٨]:

يـا بـن الغـطارفـةِ[٣٩] الكـرا
م بنـي المـيامـينِ المَناجِـبْ
الـطيِّبـيَن أرومـةً[٤٠]
مِـنْ معشـرٍ عـزٍّ أطايـبْ

(المُصطفــى) المفضــالُ أكــــــــــــ
ـــــــــــرمُ مَنْ لهــم تسري المراتبْ
مَــن قَــد سَمــىَ فــي فضلــهِ
وعــــلومـــــه أســمــى المراتــبْ
أنــتَ الــذي تُجلــى بطلـــــــــــ
ـــــــعتـهِ عـن العانــي الغياهــبْ
وخـــــضـمٌّ عــلـمٍ طــــافحٌ
عـــــذبُ المـــــواردِ والمشــارِبْ
فـــغـــدا لـــفاضـلِ بـــردهِ
فَخْـرًا علــى الجــوزاءِ ساحِــبْ
وســرتْ مكارمُــهُ فطبَّـــــــــــ
ـــــــــقـتِ المشــارقَ والمغــارِبْ
وقـــبـــابُ عـــلـــيـا مــجـدِهِ
شرفًــا علــى العيُّــوقِ ضــارِبْ
يــــا مَــــنْ لــــه عـزمٌ يُســدْ
دَدُ بالنُّهــى مـــن كُـــلِّ جانِــبْ
يهــنيــكَ هــذا العيــدُ عيـــــــــ
ـــــــــيـد الفطر يــا زاكي المناسِبْ

أمَّــا التهنئــةُ بالمُناسبــات الاجتماعيَّة فقــد حظِيَتْ هي الأُخــرى باهتمام الشعراء، ونالــت نصيبًا وافرًا من قريضِهم وأشعارِهــم، ومِنْ تلك المُناسبات الــزواج، فقد كان الشعراءُ لا يُغــادرونَ هذه المُناسبةَ من دون أنْ ينظموا فيها شعرًا؛ بهدف مُشاركة أصحابهم وأرباب مُجتمعهم من الوُجَهاء والشُّرَفاء بهذه

المُناسبة أونيل الهدايا والمكافآت، وقد حاولَ الشعراءُ تصويرَ ذلك في أبهى صورة وأجمل حُلَّة ممكنة، فهذا الشاعر محمَّد المُلّا الحِلِّي[٤١] يُهنِّئ السيِّد مهدي بن داود الحِلِّي وابن أخيه السيِّد حيدر الحِلِّي بزواج السيِّد داود نجل السيد مهدي، ويصِفُ هذه المُناسبة بأنَّها قد جلَبَت الخير والسعادة للناس، وقد أزاحت عنهُم دياجي الغم، وجعلت الطيور تُغرِّدُ فوق الأغصان بأجمل الأصوات والألحان، وانتشرتْ روائحُ الأزهار الطيِّبة في كلِّ مكان، وأصبحت الرياض مخضرَّةً ومُمرعةً، وقد أشرقَ نورُ الزمان الذي أزاح الظلام، ممَّا جعل النفوس من جرَّاء ذلك السرور والابتهاج تنال كلَّ ما كانت تأملُ وتبتغي من الأُمنيات التي كانت تطمحُ إليها قديمًا، فيقول في ذلك[٤٢]:

جـلا البِشْـرُ عنَّـا دياجـي الغَمَـمْ
بشمـلِ المعالـي غـداةَ التـأَمْ
ورجَّعَـتِ الطيـرُ فـوقَ الغصـونِ
بأحلـى فنـونٍ وأشهـى نَغـمْ
وأهدى لنا الزهرُ طيبًـا يكادُ الـ
ـعبيـرُ يُمـاثلـهُ إنْ يُشَـمْ
وجـادَ ريـاضَ المُنـى وابـلُ الـ
ـهنـا فَصَفَـا العيـشُ لَمَّـا انْسَجَمْ
فنالـتْ بـه النفسُ آمالَهـا
وقـد أدركـتْ مـا ابتغَتْ مـن قِدَمْ
وأشـرقَ نـورُ مـحـيَّـا الزمـانِ
بـه اللّه جلَّـى جميـعَ الظُلَـمْ

بتزويـجِ (داود) زاكـي النِجّـارِ
حليـفِ الفِخـارِ أليـفِ النِّعَـمْ
لقـد طبَّـقَ الكـون شرقًا وغـربًا
بـهِ اللّهُ للنـاسِ سَـرَّ الأُممْ
ألا يـا أبـا الحبـر (داود) أنعـمْ
بـبِشْـرٍ جميـعَ الـبريَّـاتِ عَـمْ
ويـا حيـدرَ النـدبِ هُنِّيـت في ما
حَبَـاكَ إلـهُ السمـا ذو الكَـرَمْ

وقـد استنجـد الشاعر ببحر «المتقـارب» الذي يعد مـن الأوزان الموسيقية الخفيفـة الراقصة في علـم العروض العربي، وذلك حتـى يتناسب مع طبيعة المناسبـة الاجتماعية، وينسجم وأجواء الفرح والسرور التي عمّت مدينة الحلَّة بفعل تلك المناسبة البهيجة .

وكثيرًا ما يحرص الشعراء في التهنئة بالزواج على إبراز شخصيَّة العريس وصفاته ومُميِّزاته، فهـذا الشاعر حسن مصبح يُهنِّيء السيِّد مهدي القزويني الكبيـر بزواج ولدهِ حسين ، ويُشيرُ إلى صفـات الأخير المُتمثِّلة بالتفرُّدِ على أقرانهِ وصيانة الإسلام ،فضلًا عن العُلوِّ، والرفعة، والعلم والحلم، والحِكمة، والاجتهاد ، والزهد ، والإيثار ، والوفاء بالوعد إذ يقول في هذه الأوصاف[٤٣]:

بعُرسِ حُسـينِ الطُهـرِ واحد عصرهِ
فأَكرِمْ بـه من واحدِ العصـرِ فردِهِ
ليَهْـنَ بـه مهـديُّ هاشـم مَـنْ غَدا
أمينًـا علـى الإسـلامِ من بعـد جدِّهِ

ولا غَـروَ أنْ سـادَ الـورى بمآثـرٍ
هـي النجـمُ أعيا مـن تصـدَّى لعدِّهِ
بعِلـمٍ وحِلـمٍ واجتهـادٍ وحِكمـةٍ
وزُهـدٍ وإيثـارٍ وبِـرٍّ بوَعْـدِهِ

ونجـدُ بعض الشعراء يُبالِغُ في التهنئة في مثل هذه المُناسبات، فهذا الشاعر عليُّ بنُ قاسم الأسدي يصِفُ ليلة زفاف السيِّد حسين القزويني بأنَّها ليلةٌ مُشرِقةٌ؛ لأنَّ الشمسَ فيها قد زُفَّتْ إلى القمر أو البدر ، ممَّا جعلها تشمخُ وتعلو على إخوانها من الليالي كشموخ ليلة القدر على سائر الليالي في الفضلِ والبركة كما يرى الشاعر، وهو أمرٌ لا يخلو من المُبالغة المقيتة، إذ يقول في ذلك:

فيـا ليلـةً ما كـانَ أشـرقَ ضوءَها
بهـا زُفَّـتِ الشمـسُ المُنيـرةُ للبـدرِ
لقـد شمخـتْ فخـرًا علـى أخواتِها
كما شمخَتْ فـي فضلِها ليلةُ القدرِ
هـي الفرحةُ العُظمـى وناهيكَ فرحةً
بعُـرسِ حُسينٍ قد جَلَـتْ رونقَ البِشْرِ

ثمَّ يستمِرُّ الشاعـرُ في مُبالغاتِه عن طريق إضفاء أفضلِ الصفات والنعوت على العريس، حيثُ يجعلهُ ظلَّ اللّه في الأرض، وموئل الناس في حالتي النفع والضرِّ، وأنَّ نُورَ النُبوَّةِ قد لاحَ من وجههِ، ودلالات الإمامة قد بدتْ عليه، حتَّى أصبحَ صاحب الأمر – على حدِّ تعبير الشاعر– إذ يقول في هذه الأوصاف:

فتًى هو ظـلُّ اللّهِ فـي الأرضِ للورى
وموئلُهـم فـي حالـي النفـعِ والضُرِّ

علــى وجهــهِ نــورُ النُبــوَّةِ لائـحٌ
بــه تتجلَّــى ظُلمــةُ الغــيِّ والكُفــرِ
وفيــه دلالاتُ الإمامــةِ قــد بَـدَتْ
تــدُلُّ عليــه أنَّ ذا صاحــبُ الأمــرِ

ثمَّ يختمُ الشاعرُ قصيدتهُ بتهنئةِ والدهِ السيِّد مهدي القزويني الكبير بهذا العُــرس والفرحة التي أصبحت بمنزلة عيدي الفطر والنحر كما يرى الشاعر إذ يقول[٤٤]:

فبُشــراكَ يــا مهــديَّ آل مُحمَّــدٍ
بعُرسٍ كيومي عيدِيَ الفطرِ والنَّحْرِ

ويأتــي السيِّد مهدي بن داود الحِلِّيّ بأكثرَ مــن تلك المُبالغات عندما جعلَ النبيَّ مُحمَّدًا ﷺ جالسًا في ربع آل قزوين، يتلقَّى من الملائكة التهنئةَ بعُرس السيد محمد القزويني، ثمَّ يُصوِّرُ الشاعر كيف أرسلَ اللّٰه تعالى جبرائيل عليه السلام لكي يُهنِّئَ الرسولَ بهذه المُناسبــة، وكيف قرَّت عيونُ المُوحِّدين، واستبشرَ الإســلامُ بذلك الاحتفال، وهذه مُبالغاتٌ لا تُستَحسَنُ في مثل هذه المُناسبات، إذ يقولُ الشاعرُ في ذلك[٤٥]:

أبنــي النُبــوَّةِ إنَّ عُــرسَ (مُحمَّــدٍ)
قــرَّتْ بــه أحــداقُ كــلِّ مُوحِّــدِ
وبــه (النبــيُّ المُصطفى) هــو جالسٌ
للتهنيــاتِ بربعِكُــم صــدرِ النــدي
وعليــهِ أمــلاكُ السمــاءِ تخالفَــتْ
فــي التهنيــاتِ بمهبــطٍ وبمصعــدِ

واللّهُ أرسـل (جبرئيـلَ) مُهنِّيًـا
لـ(مُحمَّـد) الهـادي بعُـرسِ مُحمَّدِ
واستبشـرَ الإسـلامُ فيـهِ لِعلمِـهِ
مـن نسلـهِ أنْ سـوفَ يُولَـدُ مُهتدي

إن النسق الذي يقبع وراء هـذا المبالغات التي توخاها الشعراء الحليّون في بعض شعرهـم الإخواني ، الرغبة في التقرب إلـى ذوي الوجاهة الاجتماعية والزعامة الدينية، والحصول علـى هداياهم وجوائزهم، في حين أن الأشعار التي خلت من المبالغات كانت بدافع الاحترام والتعظيم والتبجيل الذي يكنّه الشعراء لتلك الشخصيات الدينية والاجتماعية المرموقة.

ومن المُناسبات الاجتماعيَّة الأخرى التي تناولها الشعراء بالتهنئة الشفاءُ من الأمراض والأسقام والأوجاع، من ذلك قولُ الشيخ محمد رضا النحوي في تهنئـة أُستاذهِ السيِّد مهدي بحر العلوم عندما عُوفِيَ من مرضٍ ألَمَّ به، واصفًا مرضَهُ بأنَّهُ قد جعلَ جميعَ الناس مرضى، وبشفائهِ قد شُفوا ، إذ يقول[٤٦]:

لقد مَرِضْتَ فأضحـى الناسُ كلُّهُمُ
مرضى ولـولاكَ ما اعتلُّوا ولا مَرِضوا
ومُـذ بَرِئـتَ مـن الأسقامِ قـد بَرِئوا
فمِنْكَ فـي حالتَيْـكَ البُـرْءُ والمَرَضُ

ويُهنِّـئُ السيِّد حيدرُ الحلِّي الشيخ محمد حسن الكاظمي؛ عندما بَرِئَ من مرضهِ ويرى أنَّ مرضَهُ قد كانَ مرضًا للشريعة، ولمَّا شُفِيَ شُفِيَتْ هي أيضًا، كذلك فإنَّ شفاءَهُ قد أَقَرَّ عينَ الهداية وجعلَ عينَ الحُسّاد تشتكي الأقذاء، وصار المجدُ من جرَّاء ذلك الشفاء يهتفُ بين الناس فرحًا وسرورًا؛ إذ يقول[٤٧]:

قـد كـانَ داؤكَ للشريعـةِ داءَ
فـالآنَ صـارَ لهـا شفـاكَ شفـاءَ
نزعـتْ يدُ البـاري سقامَكمـا معًا
وكستـهُ شاغلـةً بـه الأعـداءَ
قـرَّتْ بـه عـينُ الهدايـةِ وانْثَنَـتْ
عـينُ الحواسِـدِ تشتكـي الأقـذاءَ
والمجـدُ أعلـنَ فـي البريَّـةِ هاتفًـا
بُشـرى لصِحَّـةِ مـن شفـى العليـاءَ

أمَّـا الختانُ، فنالَ هـو الآخرُ نصيبهُ من هذه التهانـي، فقد بعث السيِّد حيدر الحِلِّيّ بقصيدةٍ هنَّأَ بها الوجيه محمد صالح كُبَّة؛ بمُناسبة ختان ولده محمـد حسن كُبَّة عام ١٢٨١هـ، وقد صوَّرَ حالة الابتهاج والسرور والنشوة والسعـد التي عمَّتْ بغداد من جرَّاء تلـك المُناسبة السعيدة والفرحة الغامرة، إذ يقـول[٤٨]:

أسفـرَتِ الأيَّـامُ عـن مـرأى حَسَنْ
وسعدُهـا الطالـعُ باليُمْـنِ اقتـرَنْ
وأصبـحَ الزمـانُ وهـو لابـسٌ
نشـوةَ زهـوٍ رنَّحَـتْ عَطْـفَ الزمـنْ
وروضـةُ الأفـراحِ في الكـرخ زَهَتْ
فكـلُّ مغنًـى مـن مغانيهـا أغـنْ
وطـائـر البشـرِ غـدا مُغـرِّدًا
يبـدي فنـونَ سجعِـه علـى فَـنـنْ

يـــا سـعــدُ مــا أبهجَهــا مســرَّةً
بهــا أقــامَ السعــدُ والنحــسُ ظَعــنْ
خصَّــت زعيــمَ آل بيــتِ المصطفــى
وعمَّــت العالــمَ مــن إنــسٍ وجــنْ
(محمــدٌ) ليــسَ ســواهُ (صالــحٌ)
علــى كنــوزِ المكرمــاتِ يُؤتمــنْ
فليُهنــه اليــومَ خِتــان نـجلـه
فإنَّـــه أيـــمـــن مـــولـــودٍ خُـــتنْ

ومن المناسبات الاجتماعيَّة التي نالت نصيبًا من تهاني الشعراء الحلّيين الرزق بالولد، مــن ذلك قولُ السيِّد جعفر الحلِّي في تهنئــة أغا رضا الأصفهاني(٤٩) عندما رُزقَ الأخير بولد، وقد صوَّر الشاعرُ حالةَ السرور والبهجة التي اقترنتْ بهذه المُناسبة، إذ يقول(٥٠):

بُشــراكَ بالســعــد أبــا غــانــمٍ
فقــد حبــاكَ اللّٰهُ أقصــى المُنَــى
شـبلُــكَ يــومَ العـيـدِ وافــى، وفي
غـرتـه سيمـــاك لاحَـــت لَنــا
قــارنــه الســـعـــد بِـمـــيــلاده
فَــطبَّــقَ العـــالـــمُ مِنــهُ السَنــــا

ومنهــا بناءُ الدور، حيثُ يعمــدُ الشعراءُ فيها إلى إرسال التهاني لمن يحظى ويقــوم ببنــاء دارٍ جديدة، من ذلك قــولُ الحاج حسن القيّم فــي تهنئة صهره الخطيب عبّاس البغدادي الموسوي في داره الجديدة، إذ يقول(٥١):

أبــا حســنٍ بُشــراكَ فــي دارِكَ التي
نضارتُهــا فيهــا العقــولُ تحيَّــرتْ
هــي الــدارُ ينــدى بالسمــاحِ ترابُها
كــأنْ أرضُها من طينةِ المجدِ صُوِّرَتْ
كسَــتْ تربَهــا أخلاقُكَ الغُــرُّ نفحةً
فطابت بريَّــا المسكِ نشــرًا وعُطِّرتْ

وهُنالك بعــضُ المُناسبات المتفرقة التي تمرُّ على بعــض الناس من الوُجهاء والعُلمــاء، فيُرسِــلُ الشعراءُ إليهــم فيها الأشعار للتهنئة، ذلــك ما نجدُهُ عند الشيــخ علي عوض الحِلِّي، حين هنَّأ السيِّــد ميرزا جعفر القزويني على منحهِ إجازة الاجتهاد بعلم الفقه إذْ يقول يهنّئُهُ له[٥٢]:

وافــتْ إليــكَ مــن الغــريِّ إجــازةٌ
أفضَــتْ إليــكَ بأصــدَقِ الأنبــاءِ
والاجتهــادُ إليــكَ ألقــى أمــرَهُ
يــا مُنتهــى الأحكــامِ والإفتــاءِ
مُــذ آنَسَــتْ منــكَ الشريعــةُ رَشدَها
جاءَتْــكَ خاطبــةً علــى استحيــاءِ

ولا شكَّ فــي أن الإجازات العلمية تعد قضية غايــة في الأهمية والجسامة، في الأوساط العلمية، وحتى الاجتماعية في المجتمع الإسلامي بنحو عام والمجتع الحِلِّــي بنحو خاص في تلك المرحلــة، وعندما يمنح أحد العلماء إجازة علمية في مسألة من المسائل فإن ذلك يمثل حدثًا مهمًا، يستدعي من الأدباء والشعراء إرسال التهاني والتبريك عن طريق الشعر إلى أولئك العلماء ، وقد بين الشاعر ما تمليه

تلك الإجازة العلمية من مسؤوليات كبيرة ومهام خطيرة، وقعت على عاتق السيد ميرزا جعفر القزويني في القيادة الدينية للمجتمع الحِلِّيّ لا سيما ما يتعلق بقضايا الاجتهاد والإفتاء واستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة.

وممَّا يدخُلُ في شعر الإخوانيَّات تقريظُ المُؤلَّفاتِ والكُتب والقصائد واستعارة الكُتب واستهداؤها[٥٣]، وفيها يقومُ الشعراء عن طريق الأشعار ببيانِ محاسن ومزايا تلك المُؤلَّفات والقصائد والإشادة بفضلِها المعرفي وقيمتها العلمية ومكانة صاحبِها وفضله، فمن تلك التقاريض قولُ الشاعر المُلَّا عبّاس الزيوري في تقريض كتاب الميرزا حسين النوري الموسوم بـ(دار السلام) المُختصّ بتفسير المنامات، وتعبير الرُؤيا والأحلام الذي لو قيض لابن سيرين والخبير في هذا المجال لجابهه بالاحترام والتقدير، إذ يقول في فضل الكتاب ومُؤلِّفه[٥٤]:

الجهبذُ النوري حسينٌ ومَنْ
شرَّفهُ اللّه ببيت الحرامْ
أشرَقَ نورُ العِلمِ عن فِكرِهِ
فجاءَ في تصنيفِ (دار السلامْ)
خيرُ كتابٍ جامعٍ كاشفٍ
فيهِ عن الرُؤيا حجابَ الظلامْ
يُعبِّرُ الرؤيا ويُنبيكَ عنْ
رُؤيا نبيٍّ صادقٍ أو إمامْ
تاللّهِ لو أنَّ (ابنَ سيرينَ) قد
طالعهُ رأى له الاحترامْ

ويُقرِّضُ السيِّد محمّد القزويني كتاب (نهج الصواب في الكتاب الكتابة والكتاب) للشيخ علي كاشف الغطاء صاحب كتاب (الحصون المنيعة في طبقات الشيعة)، ويُشيد بالعِلم الذي يحويهِ هذا المُؤلَّف؛ إذ يقول[٥٥]:

سُبحانَ مَنْ أنزَلَ هذا الكِتابْ
وحيَّرَ العقلَ بهذا الخِطابْ
أنشأَ من آثارِهِ ما بها
فرَّقَ بينَ الخطا والصوابْ
ما تُلِيَتْ في الدهرِ آياتُهُ
إلَّا لها قلبيَ طوعًا أجابْ
ولا بهِ أظهرَ مِنْ حكمةٍ
مفهمة إلَّا أَلَانَ الصعابْ
فصَّلَ في ترتيبهِ ما بهِ
يَنْحَلُّ من مسألةٍ أو جوابْ
وأوضحَ المُجملَ فيما بهِ
مكتوبةٌ أو كاتبٌ أو كتابْ

وألَّفَ الشيخ عليُّ بنُ عيسى الإربلّي كتابًا سنة ٦٨٧هـ وسمَّاه: (كشف الغُمَّة في معرفة الأئمَّة)، وقد أرسله إلى الشيخ جمال الدين بن منيع[٥٦]؛ لكي يقرضه له فقال فيه[٥٧]:

ألا قُلْ لجامعِ هذا الكتاب
يمينًا لقد نِلْتَ أقصى المُرادِ

وأظهَــرْتَ مــن فضــلِ آل الرســول
بتألـيفــهِ مــا يســوءُ الأعـــادي

ومن التقاريض الخاصَّة بالقصائد ما أنشدهُ الشيخ محمد رضا النحوي في تقريـض القصيدة الميميَّة للشيخ أحمد بن محمد، تلميذ السيّد شبّر الموسوي؛ إذ يقول(٥٨):

أكــرِمْ بنظمٍ يــروقُ الناظريــنَ سنًا
كــأنَّ عقــدَ الثُريَّــا فيــه مُنتظـمُ
أضحى (لأحمد) في ذا العصرِ معجزةً
علــى النُبــوَّةِ شعــرٌ كلُّــهُ حِكَـمُ
حــوى مديــحَ بنــي الزهــراء فاطمةٍ
ومــن هُمُ فــي جميعِ المكرمــاتِ هُمُ

ويُقــرِّضُ الشيــخ حُمَّــادي نــوح قصائــدَ الشاعــر الشهيــر عبــد الباقي العُمري، المُسمَّات بـ(الباقيات الصالحات)؛ إذ يقول(٥٩):

أبديــعَ فكــرِكَ جوهــرٌ إنْ نُظِّمـا
أم فــي القوافي قد جمعــتَ الأنجُما
بالبــاقيــاتِ الصـــالحــاتِ عنايــةٌ
للّهِ نِلــتَ بهــا المَحــلَّ الأعظَمـا
هُــنَّ القوافــي السائــراتُ شــواردًا
في الكــونِ تُنسينا الزمــانَ الأقدَما

وممَّــا يدخُلُ فــي شعر الإخوانيَّات طلــب استعارة الكتــب، أو إهدائها،

وتبادلهـا بين الأصدقاء عن طريق الأشعار، فهـذا الشيخ يعقوب الحاج جعفر يُرسِـلُ إلى صديقـهِ حبيب بك آل عبد الجليل مقطوعةً مـن الشعر يطلُبُ من خلالهـا كتاب (ينابيع المودَّة) للقنـدوزي (ت ١٢٩٤هـ) حينَ طُبِعَ بالإستانة، وكانَ قد وعدَهُ به؛ إذ يقول[٦٠]:

أبَـدرَ السعـدِ يـا مَـنْ كـلُّ بـدرٍ
بأفـقِ المجـدِ منـهُ نـالَ سَعْـدَهْ
وفـاحَ بـه شـذا الفيحـاءِ حتَّـى
غَـدَتْ بالعَـرْفِ أضـوعَ كـلِّ بلدهْ
وشـادَ ببابـلٍ للجـودِ بيتًـا
رفيعًـا قـد أبـى الرحمـنُ هـدَّهْ
ولـم يقصِـدْهُ راجٍ منـهُ نيـلا
وآبَ ولـم يَنَـلْ بالنَّيـلِ قَصْـدَهْ
لتنبـعَ عـينُ جـودِكَ لا بمـالٍ
ولكـنْ فـي (ينابيـع المـودَّهْ)
ألَسْـتَ وعدتنـي يـا حُـرُّ فيـهِ
وليـسَ الحُـرُّ يُخلِـفُ قـطُّ وَعْـدَهْ

هكـذا كـان هـذا اللَّون من النظـم يحتلُّ مساحةً واسعـةً من الشعر الحِلِّي في تلك المرحلة التاريخية، وطفق الشعراء ينظمونَ الأشعارَ في مُختلف الأحوال والمُناسبات والمواقف، وقد لاقتْ هذه الأشعارُ قبولًا واسعًا في أوساطِ المجتمـع والناس على اختلاف مستوياتهم الثقافيَّة؛ ذلك لسهولة هذا اللون من النظم على المُتلقّي وبساطته عليه، كما عَرَضَتْ هذه النصوصُ لثقافة العصر

والشعــراء وأفكارهم على حد سواء ، ممَّا يدُلُّ على بساطة عيشهم وحياتهم وتفكيرهم، وقد غلبَ على الشعــر الإخواني الحِلِّي في هذه المرحلة، التأنُّق فــي عرض المعنى، واصطناع العاطفة، والتكلُّــف في أحيان كثيرةٍ، كما اتَّصــفَ قسماً منها بالإطراء والمدح والمُبالغة فــي الصفات والنعوت، وأجدُ أنَّ هــدفَ بعض الشعراء من وراء هذه المُبالغات، هــو إظهارُ المقدرة والإمكانيَّة العالية فــي النظم والتقرُّب إلــى أرباب مجتمعهم ومجامعهــم، كما تميَّزت الإخوانيَّــات في هذه المرحلة بكثيرٍ من السطحيَّة في الطرح والتناول، وخلتْ مــن الصــور الفنّية الجميلــة والمُؤثِّرة فــي المُتلقِّي، كذلك نجــد أنَّ الشعراء الحلِّيــين قــد حاولــوا عن طريق هــذا اللون مــن الشعر تسجيــل بصماتهم، ولمساتهــم وحضورهم ومُشاركتهم لأرباب مُجتمعهــم من الوجهاء والمعروفين بالزعامــة والرياسة والشرف في مختلف الأحوال والمُناسبات والمواقف، وعلى الرغــم من كــلِّ المُؤاخذات على هذا اللون من النظــم إلَّا أنَّني أجدُ فيه قيمةً حضاريَّةً وتأريخيَّةً، أدَّتْ وظيفةً اجتماعيَّةً هي إعطاءُ صورةٍ واضحةٍ عن ملامح المجتمع الحِلِّــي، وبيان الطريقة والكيفيَّة التي عــاش الناسُ من خلالها في ذلــك المجتمع البسيط، فضلًا عن الدور الذي لعبتــهُ الإخوانيَّات في كشف أنواع العلاقات التي تربطُ الناس على مختلف مستوياتهم الاجتماعيَّة والدينيَّة والثقافيَّة والاقتصاديَّة في تلك المرحلة التاريخية.

وبعد عرضنا لنماذج من شعر الإخوانيات، يمكننا إيجاز بعض السمات الفنية- إلى جانب السمات الموضوعية التي أشرنا اليها – المتمثلة بسهولةِ اللغة، واستعمال الالفاظ الرشيقة، والعبارات المشرقة ، وبساطة الخيال والافتقار إلى العمق وجمال الموسقى ، وخفة الأوزان الشعرية، ولطافة الأسلوب وحفل بعضه بافتعالِ العاطفة ، والتصنُّع في التعبير عن المشاعر ، والتكلُّف في وصف الأحاسيس والانفعالات،

وربما وصل بعضه إلى حد المُبالغة في المدح والثناء والمجاملة والإطراء، وقد توزَّعَ معظمُهُ بين القصائد المُتوسِّطة في الطول والمقطوعات.

الخاتمة :

يمكن إيجاز بعض النتائج التي توصل إليها البحث عن طريق الدراسة على النحو الآتي :

١. الإخوانيات فن شعري قديم لم يكن وليد مرحلة العصر الوسيط ، وإنما ظهر في العصور السابقة له .

٢. الإخوانيات من الأغراض الشعرية الثانوية التي كانت متداخلة مع الأغراض الأخرى، ولكنها استقلت فيما بعد بنفسها بفعل تطور الحياة الثقافية وتعدد متطلباتها.

٣. تنحصر الموضوعات التي تعالجها الإخوانيات بالمراسلات الشعرية التي تجري بين الشعراء والأصدقاء والأهل والأقارب ، وتتناول جوانب العتاب، والاستدعاء، والتهنئة، والاعتذار، والتشوُّق، والصداقة، والودّ وكلّ ما يتعلَّق بالعلاقات الاجتماعيَّة، ومناسباتها المُختلفة، فضلاً عن تقريض القصائد واستحسان المؤلفات، والمطارحات الفكرية، والمجادلات العقلية ، وإثارة بعض القضايا النحوية، والفقهية، وحل الألغاز، والمسامرات والمناظرات، والأوصاف، واستعارة الكتب وإهدائها .

٤. تميز فن الإخوانيات في الحلة في هذه المرحلة بالكثرة، وقد نظمه الشعراء الحليّون في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية، وتبادلوه فيما بينهم في شتى الأحوال والمواقف، وقد أقبلت عليه الذائقة الحلية الجماهيرية بشغف شديد؛ وذلك لبساطته وسهولته، وتماسّه مع اهتماماتهم وحاجاتهم

وثقافتهم ووعيهم .

٥. أظهــرت الإخوانيات متانة العلاقــات الاجتماعية التي كانت تربط بين أبنــاء المدينة الواحدة، وكشفت عن الطريقة البسيطة التي عاش بها الإنسان الحِلِّــي ،فضلاً عن أنَّها بيَّنت بعض التقاليــد والعادات والممارسات والطقوس والأعــراف الاجتماعيــة التي كانت سائــدة في المدينة، ومــن هنا فقد نجح الشعراء الحليّون عن طريقها في رسم صورة واضحة الملامح عن طبيعة المجتمع الحِلِّيّ في تلك المرحلة التاريخية.

٦. حــاول بعض الشعــراء الحِلِّيّين الذيــن انمازوا بقدر جيــد من الوعي، والشعور بالمسؤولية تجاه أبناء جلدتهم ومجتمعهم توجيه النقد الضمني لبعض الممارســات المتخلّفة، والسلوكيات المرفوضــة التي كان يعاني منها المجتمع الحِلِّــي في تلــك المرحلة، ولا سيمَّــا التصرفات المتعلقة بتبــدل أخلاق البشر وطبائعهــم بفعل تأثيرات الحياة ومغرياتها، وكأن أولئك الشعراء الحِلِّيّين لم يتركوا مناسبة سانحة لنقد المجتمع ،وتسليط الضوء على أمراضه، وأدوائه إلَّا استثمروها بهدف المعالجة والتصحيح .

٧. مــن الناحيــة الفنيــة امتــازت الإخوانيــات بسهولــةِ اللغــة، وبساطة الخيال،وجمــال الموسقى، ولطافة الأسلوب ،وقــد توزَّعَ معظمُهُ بين القصائد المُتوسِّطة في الطول والمقطوعات .

الهوامش:

(١) ينظر: مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: ٢٨٨، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين : ٢٦٧ .

(٢) المعجم المفصل في اللغة والأدب : ١ / ٥٧ .

(٣) المعجم الأدبي : ١ / ٩ .

(٤) ينظر: المعجم المفصل في الأدب : ١ / ٤٥،المعجم الأدبي : ١ / ٩ .

(٥) المعجم الأدبي : ١ / ٩ .

(٦) المصدر نفسه : ١ / ٩ .

(٧) أروع ما قيل في الإخوانيات : ٥ .

(٨) ينظر: مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: ٢٨٨، الاتجاهات الشعرية في بلاد الشام في العهد العثماني ٣/ ٤٠٣ ، المعجم المفصّل في الأدب : ١/ ٤٥ .

(٩) الاتّجاهات الشعرية في بلاد الشام في العهد العثماني : ٤٠٣ .

(١٠) أدباء حليون : ٢٠٠ – ٢٠١ .

(١١) شعراء الحلة : ٣/ ٥٢ . هيع : اتَّسع وانتشر، وطريقٌ مهيع أي واضح وواسع،والشاعر يريد أنْ يقول : هل انقطع أو اعتلَّ عليك الطريق الواسع حتّى لم تأتِ . ينظر : لسان العرب: ٦/ ٤٧٣٧، مادة (هَيَعَ) .

(١٢) شعراء الحلة : ٥/ ٣٨ – ٣٩ .

(١٣) هو ميرزا جعفر بن السيد مهدي بن السيد حسن بن السيد أحمد بن السيد محمد الحسيني الشهير بالقزويني، ولد سنة ١٢٥٣هـ ،وتوفي سنة ١٢٩٨هـ تنظر ترجمته في : الطليعة: ١/ ١٩٠، البابليات : ٢/ ١١١، شعراء الحلة: ١/ ٤٠٤ ،تاريخ الحلة : ٢/ ١٧٨ .

(١٤) العين العائرة هي التي يذهب بصرها مرة هنا ومرة هناك لقلقها وعدم راحتها، ينظر: لسان العرب : ٤/ ١٣٨٧، مادة (عَيَر) .

(١٥) البابليات : ٢/ ١٢١ – ١٢٢ ،شعراء الحلة: ١/ ٤٤٥ – ٤٤٦ .

(١٦) هو الشيخ مهذب الدين محمود بن يحيى بن محمد بن سالم الشيباني الحِلِّيّ، كان حيًّا إلى سنة ٧٠٢هـ ، تنظر ترجمتهُ في البابليات : ١/ ٨٩،شعراء الحلة : ٥/ ٢١٣ .

(١٧) ماردين : قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين، وكان فتحُها وفتح سائر الجزيرة سنة ١٩هـ. معجم البلدان : ٥ / ٣٩ .

(١٨) البابليات : ١/ ٩٠ ،شعراء الحلة : ٥/ ٢٩٣ .

(١٩) ديوان صفي الدين الحِلِّيّ : ٢٤٩ .

(٢٠) شعراء الحلة : ١/ ٢١٨ .

(٢١) البابليات : ٢/ ١٩١ .

(٢٢) في شعراء الحلة: دولتها .

(٢٣) شعراء الحلة : ٥/ ٣٤ – ٣٥ .

(٢٤) ديوان صفي الدين الحِلِّيّ : ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٢٥) المصدر نفسه : ٥٠٣ .

(٢٦) شعراء الحلة : ٣/ ٢٥٣ .

(٢٧) وكف الماء والدمع إذ سال وتقطر ونزل بغزارة من العين والسماء، ينظر: لسان العرب: ٦/ ٤٩٠٨، مادة (وكف) .

(٢٨) ديوان السيد حيدر الحِلِّيّ : ١/ ٢٨٥ – ٢٨٦ .

(٢٩) المصدر نفسه : ١/ ٢٨٩ .

(٣٠) البابليات : ٣/ ١/ ١٨ – ١٩، شعراء الحلة : ١/ ٢٣٥ .

(٣١) البابليات : ٢/ ١٢٢ ،شعراء الحلة : ١/ ٤٢٦ .

(٣٢) ديوان السيد صادق الفحام : ٢٤٢ .

(٣٣) البابليات : ٣/ ١/ ٤٥ ،شعراء الحلة : ٣/ ٢٤٤ .

(٣٤) البابليات : ٢/ ١٣ – ١٤ ،شعراء الحلة : ٥/ ٤٥ .

(٣٥) أسماء مناطق ومواضع موجودة في مكة المكرمة .

(٣٦) شعراء الحلة : ٥/ ٨١ – ٨٢ .

(٣٧) ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر: ٩٩ .

(٣٨) شعراء الحلة : ٣/ ٢٤٦ .

(٣٩) الغطارفة: مفردها غطريف وهو السيد الشريف السخي الكثير الخير، ينظر: لسان العرب : ٥/ ٣٢٧٠، مادة (غَطرَفَ) .

(٤٠) الأرومة : الأصل أو الشيء المتأصل، ينظر: لسان العرب : ١/ ٦٥، مادة (أرم) .

(٤١) هو الشيخ محمد بن حمزة بن حسين بن نور علي التستري الأهوازي الحِلِّيّ المعروف بالمُلاّ ولد سنة ١٢٤٣هـ، وتوفي سنة ١٣٢٢هـ، تنظر ترجمته في : الطليعة: ٢/ ٢٢٠ ، البابليات : ٣/ ١/ ٦٣ ،شعراء الحلة : ٥/ ٢٠٩ .

(٤٢) شعراء الحلة : ٥/ ٢٢٤ .

(٤٣) البابليات : ٣/ ١/ ١٨٩ ،شعراء الحلة : ٤/ ١٧٢ .

(٤٤) البابليات : ٣/ ١/ ١٨٩ ،شعراء الحلة : ٤/ ١٧٢ .

(٤٥) ديوان السيد مهدي بن داود الحِلِّيّ : ٢/ ٥٨٧ – ٥٨٨ .

(٤٦) البابليات : ٢/ ١١ – ١٢ ،شعراء الحلة : ٥/ ٣٧ .

(٤٧) ديوان السيد حيدر الحِلِّيّ : ١/ ١٢٨ .

(٤٨) المصدر نفسه : ١/ ١٩٨ – ١٩٩ .

(٤٩) هو الشيخ أغا رضا بن العلامة الشيخ محمد حسين بن المحقق محمد تقي، كانَ أحد العلماء والأفاضل والمراجع في أصفهان، تنظر ترجمته

في ديوان السيد جعفر الحِلّي : ١١٠ – ١١١ (الهامش) .

(٥٠) ديوان السيد جعفر الحِلّي : ٤٤٨ .

(٥١) ديوان الحاج حسن القيم : ٥٣ .

(٥٢) شعراء الحلة : ٣/ ٢٠٢ .

(٥٣) ينظر: الاتجاهات الشعرية في بلاد الشام في العهد العثماني : ٤٠٣ .

(٥٤) البابليات : ٢/ ١٩٧، شعراء الحلة : ٣/ ٢٨٧ . وابن سيرين من أشهر مفسّري الأحلام له كتاب معتبر في ذلك اسمه (تفسير الأحلام)، ويعتبر من أُمَّات الكتب في هذا المجال .

(٥٥) نهج الصواب في الكاتب والكتابة والكتاب، مجلة مخطوطاتنا: ع ٣ـ٤، ٢٠١٥، ص ١٣٢ .

(٥٦) هو جمال الدين أحمد بن منيع الحِلّي، توفي في الربع الأول من القرن الثامن الهجري، ينظر: البابليات: ١/ ٩١ – ٩٢ .

(٥٧) البابليات : ١/ ٩١ .

(٥٨) البابليات : ٢/ ١٧، شعراء الحلة : ٥/ ٤٦.

(٥٩) شعراء الحلة : ٢/ ٣٦٨ .

(٦٠) البابليات : ٣/ ١/ ١٦٨ .

المصادر والمراجع :

١.الاتجاهات الشعرية في بلاد الشام في العهد العثماني : د. محمد ألتونجي، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٣م .

٢.أدباء حليون : د. جواد أحمد علوش، منشورات عويدات، بيروت .

٣.أروع ما قيل في الإخوانيات : أميل ناصف، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م .

٤.البابليات : الشيخ محمد علي اليعقوبيّ، مطبعة الزهراء، النجف الأشرف، ١٣٧٠هـ /١٩٥١م .

٥.تاريخ الحلة : الشيخ يوسف كركوش، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م .

٦.ديوان الحاج حسن القيم، جمعه الشيخ محمد علي اليعقوبيّ، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ط١٣٨٥، ١هـ /١٩٦٥م .

٧.ديوان السيد جعفر الحِلّيّ (سحر بابل وسجع البلابل)، تحقيق الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، دار الأضواء، بيروت، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م .

٨.ديوان السيد حيدر الحِلّيّ، تحقيق

الشيخ علي الخاقاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١٤٠٤، ٤هـ / ١٩٨٤م .

٩.ديوان السيد صادق الفحَّام ، تحقيق د. مضر سليمان الحِلِّيّ ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.

١٠. ديوان السيد مهدي بن داود الحِلِّيّ، تحقيق د. مضر الحِلِّيّ، دار الفرات، الحلة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١١.ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر، جمعه الشيخ محمد علي اليعقوبي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١٣٨٢، ١هـ/١٩٦٢م .

١٢.ديوان صفي الدين الحِلِّيّ، تحقيق د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٣.شعراء الحلة أو البابليات :الشيخ علي الخاقاني، دار الأندلس، بيروت، ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

١٤.الطليعة من شعراء الشيعة : الشيخ محمد ابن طاهر السماوي، تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

١٥.فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: د. مصطفى الشكعة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

١٦.لسان العرب : ابن منظور، تحقيق مجموعة من المحققين، دار المعارف، القاهرة .

١٧.مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: د. بكري الشيخ أمين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١٤٠٠، ٣هـ /١٩٨٠م .

١٨.المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٩٨٤، ٢م .

١٩.معجم البلدان : ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط١٩٩٥، ٢م .

٢٠.المعجم المفصل في الأدب : د. محمد ألتونجي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

٢١.المعجم المفصل في اللغة والأدب : د. أميل بديع يعقوب، د. ميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م .

الدوريَّات :

٢٢.تقاريظ نهج الصواب في الكاتب والكتابةِ والكتاب ، تحقيق د. عباس هاني الجراخ ، مجلة (مخطوطاتنا) ، ع ٣-٤ ، ٢٠١٥م.